بسم الله الرحمن الرحيم
ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين
صدق الله العظيم

سلسلة حياة
الرسول وأهل بيته (ع)
من المهد إلى اللحد

الإمام الحسن العسكري (ع)



دار المحجة البيضاء

سامراءُ التي لا تبعدُ عن بغداد كثيراً. لم تكن سوى ضياعٍ متناثرةٍ عندما قَدِمَ المتوكّلُ إليها، عمّرَها وشيّدَ الدورَ فيها لَهُ ولقوادِهِ ولجيشِهِ، ثُمَّ تبعَهُ سائرُ النّاس.

أصبحَت القريةُ الصغيرةُ، مدينةٌ كبيرةٌ، ثُمَّ صارَتْ عاصمةَ الدولةِ العباسية. لكنَّ هذهِ المدينةَ شهدَتْ نهايةَ حكامِ بني العباسِ الأقوياء، انتقلَتْ السلطةُ إلى قوادِ الجيشِ، فأصبحوا هُمْ من يُديرُ شؤونَ الدولةِ وأصبحَ الحكامُ العباسيين مجرّدَ ألعوبةٍ بأيديهم. يُنَصّبُونَ ويَعْزِلُونَ من يشاؤونَ منهم.

وغرقَتْ الدولةُ في عصرٍ من الفوضى، وعمَّ الظلمُ والاضطهادُ في أرجاءِ الدولةِ المترامية الأطرافِ. وكانَ عصرُ المؤامراتِ والمكائدِ بامتيازٍ.

كانت محلةُ (عسكر)، مجرّدُ محلةٍ عاديةٍ من أحياءِ سامراء، لا تمتازُ بشيءٍ عن سواها لكن سرعانَ ما اكتسبَتْ شهرةً وأهميةً عندما اتخذَ الإمامُ عليٌّ الهادي(ع) داراً من دورها لسكنِه، فضجّت بحركةٍ لم تألفها من قبل، وأصبحَتْ مقصداً للعلماءِ والطلابِ كما أصبحَتْ هذهِ المحلةُ البسيطةُ تتعرفُ على وجوهِ القومِ والأشرافِ والقادةِ في زياراتِهم التي لا تنقطعُ للإمام(ع).

ومن هناك بعث إلى أهلِهِ وأتباعِهِ بالقدومِ إليه. فالتحقَ الجميعُ بالإمامِ عليَّ الهادي(ع) ومنهم ابنهُ الحسن، ابن الأربع سنين وكان قد وُلدَ في ٨ ربيع الثاني عام ٢٣٢هـ. فنشأ في هذهِ المحلةِ ومنها اكتسبَ اسمهُ الشريفُ «الحسن العسكري(ع)».



وُلدَ الإمام الحسن العسكري (ع) في المدينة. فكانَ آخرُ أنوارِ آلِ البيتِ التي أشرقَتْ منها. يوم مولده كانَ سعادةً عظيمةً لآلِ أبي طالبٍ ولمدينةِ جدّهِ رسولِ الله (ص) التي قضى فيها الأربعَ سنواتِ الأولى من عمرهِ.

وتربّى الحسنُ (ع) في حضنِ أمّهِ الطاهرة السيدة «سليل» وفي رعايةِ أبٍ عظيمٍ يتزعّمُ مدينةَ جدّهِ بفضلِ ما أُعطيَ من نسبٍ شريفٍ وعلمٍ لا يضاهيهِ علم.

كانت طفولتهُ هانئةً وسعيدةً. حتى مجيء «يحيى بن هرثمة» لاصطحابِ أبيهِ إلى سامراء.

يومَها رأى الصبيُّ النّاسَ تتمسّكُ بأبيهِ. والمدينةُ تضجُّ بالبكاءِ خائفينَ عليهِ من سفرٍ لن يعودَ منهُ أبداً كما حدثَ مع آبائهِ.

رحلَ أبيهِ إلى سامراء. وبعدَ أن استقرَّ بهِ المقام. التحقَ إليهِ مع أخوتهِ وأُمّهِ. وأُصبحتْ سامراء القريةُ الصغيرةُ ثُمَّ المدينة تحتضنُ خيرةَ أهلِ الأرضِ.



ShiaKids.Net

عند وصوله إلى سامراء، ابتدأت مرحلةٌ جديدةٌ من حياةِ الحسن(ع)، مرحلةُ الإعدادِ والتهيئةِ لتولّي مهامَ الإمامةِ بعد أبيهِ المهدّدِ بالقتلِ كُلَّ يومٍ من طاغيةِ عصرهِ المتوكّل.

كان عهدُ المتوكلُ من أشدِ العهودِ وأقساها على آلِ البيتِ والعلويين عامةً. وُضعت تحركاتهم تحت المراقبة، وَضُيّقَ عليهم بمعاشِهم حتّى أصابَهُم الفقرُ، وكانَتْ فيها أثوابُ نساءِ آلِ أبي طالبٍ عتيقةٍ رثةٍ، وكن يتبادلْنَ الثوبَ الواحدَ فيما بينهنَّ للصلاةِ.

وأصبحَتْ حياةُ الإمام عليّ الهادي(ع) عُرضةً للخطرِ أكثرُ من أي وقتٍ مضى، ورأى الحسن(ع) مضايقاتِ المتوكل المستمرةِ لأبيهِ وشهدَ كيف هاجمَ الجنودُ الأتراكُ بيته وعبثوا بمتاعهِ بأمرِ من المتوكّل، ومن ثُمَّ يقتادُوهُ إلى السجن.

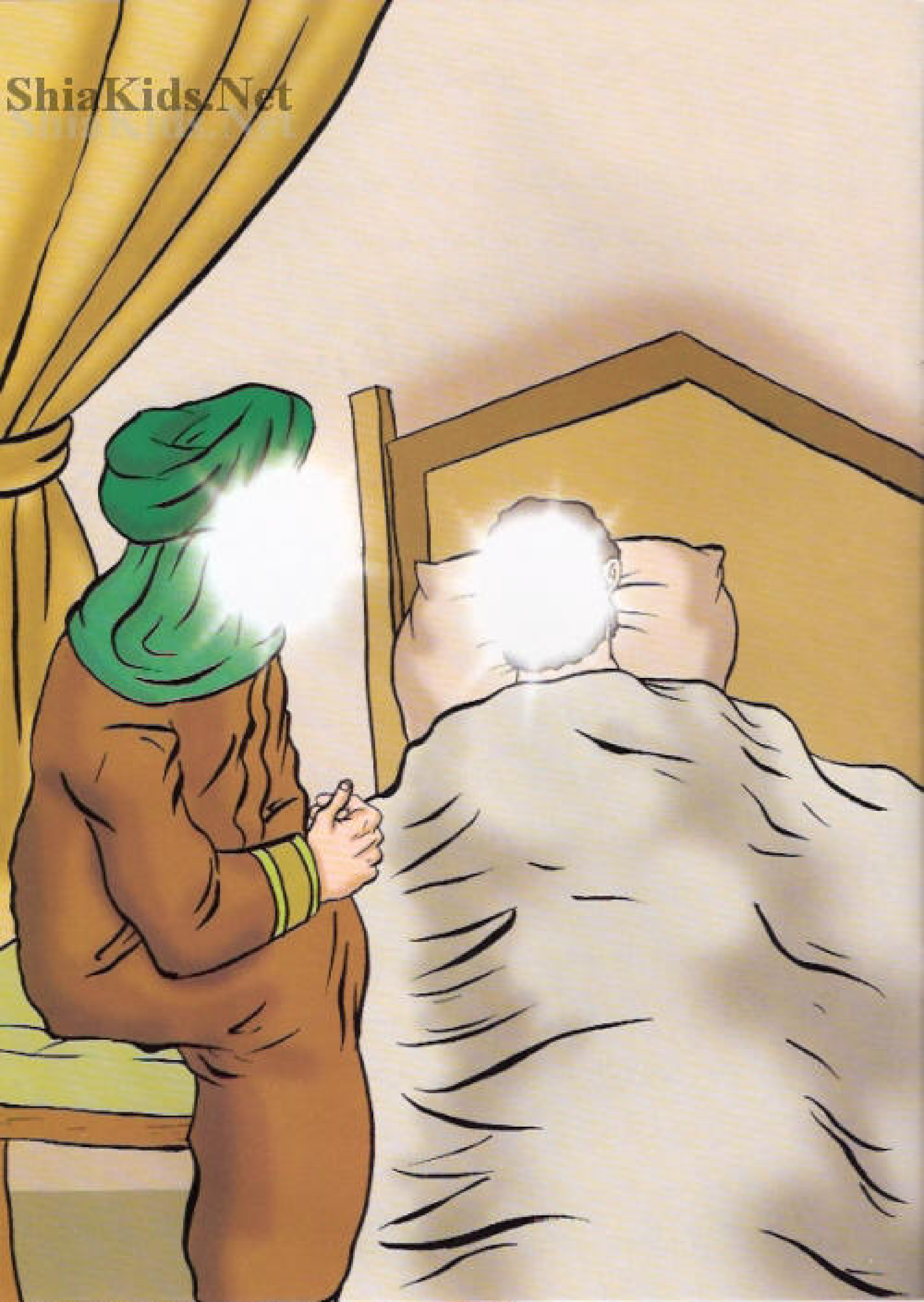


كانَتْ فترةً من المعاناةِ والآلامِ والخوفِ، لم تزول إلاّ بقتلِ المتوكّلِ ونهايةِ عهدِهُ المظلمُ وأيامهُ السود. أُطلقَ أبوهُ من السجنِ بعد أيامٍ قلائلَ منْ سجنهِ، وأكرمَهُ المنتصرُ وأعزّهُ بما يليقُ بنسبهِ الشريفِ ومكانتهُ الدينيةِ العظيمةِ.

لكنَ أيامَ المنتصرُ لم تَدُمْ طويلاً، فقد قُتلَ بعد أشهرٍ من توليهِ الحكمَ وبمقتلهِ عادَتْ الأيامُ العصيبةُ مرةً أخرى. فسقطتِ البلادُ في الفوضى والانقلاباتِ، والثوراتِ التي لا تهدأ. وعادَ أيضاً التضييقُ والتهديدُ المستمرُ بالقتلِ لآلِ البيتِ العظامِ.

وسطَ هذهِ الأحداثِ فُجعَ الحسنَ(ع) بوفاةِ أخيهِ التقيُّ، العابدُ محمدٌ، فحزنَ حزناً شديداً. وتوالَتْ عليهِ المصائبُ بوفاةِ أبيهِ الإمامُ عليَّ الهادي(ع) العظيمِ.

وقامَ بدفنهِ في دارهِ، وسطَ البكاءِ والنحيبِ الذي علا من كُلِّ بيتٍ من بيوتِ سامراءِ التي أحبّتْ إمامَها المتواضعَ، البسيطَ حباً كبيراً.



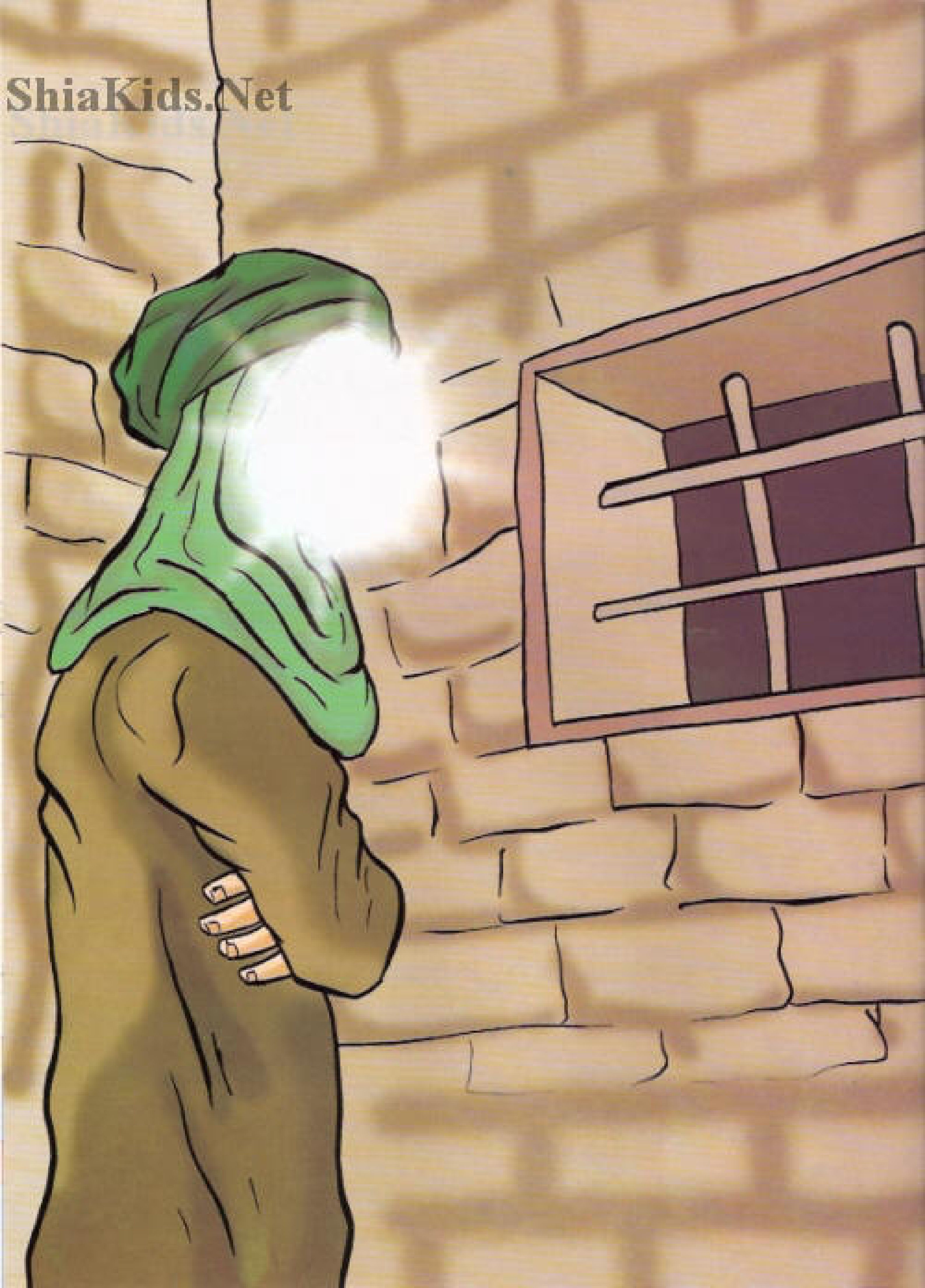
ShiaKids.Net

تقلّدَ الإمامُ الحسنُ العسكري (ع) مقاليدَ الإمامةِ. وجلسَ مكانَ أبيهِ يواصلُ رسالتهِ الدينيةِ والفكريةِ. وكان عصرُهُ عصرُ العلومِ والمؤلّفاتِ الكثيرةِ. كثُرَ فيه الفقهاءُ والرواةُ الذين كانوا يلجأون إليهِ في كُلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ. فأخذوا منه الكثيرَ من الفقهِ والأفكارِ المنيرةِ.

وقامَ أيضاً بإعدادِ نُخبةً مؤمنةً ومخلصةً من رواةِ الأحاديثِ والوكلاءِ وأرسلَهُم إلى كافةِ المدنِ والأقاليمِ في مهمةِ نشرِ علومِ آلِ البيتِ.

كانت نشاطاتُ الإمامِ (ع) هذهِ تحتَ مراقبةِ الحُكّامِ المستمرةِ، الذين شعروا بخطورةِ عُلوِّ مكانةِ الإمامِ كعالمٍ عظيمٍ من علماءِ آلِ البيتِ وكوريثٍ للسلطةِ الروحيةِ التي توارثوها أباً عن جد. فشدّدَتْ من التضييقِ عليهِ. ومنعَ النّاسَ من لقائهِ.

لجأ الإمامُ (ع) إلى كافةِ الوسائلِ ومنها الإرشاداتِ والإيماءاتِ للإبقاءِ على اتصالِ الأتباعِ بهِ. وأعطاهُم ما هو ضروريٌّ من الإرشاداتِ والتوجيهاتِ في عملِهم. وأخيراً. وبعدَ أن تعذّرَ عليهِ مقابلةُ أحدٍ دون أن يتعرّضَ للخطرِ، أضطُرَّ إلى تعيينِ سفراءِ تأخذُ منهم النّاسُ الأحكامَ.



كانت مخاوفُ الحكام تتعاظمُ من الإمام الحسن العسكري(ع). ولما لم تنفع الإجراءاتِ المشدّدةِ في مراقبتِه، فرضوا عليهِ الإقامةَ في بيتِه رغماً عنه. وشددوا في منعِ النّاس من لقائه. وقضى الإمامُ أيامَهُ الأخيرة صابراً، عابداً، وسطَ هذهِ الشدائدِ والمحنِ.

في النهايةِ لم تكفِ كُلُّ الإجراءاتِ الظالمةِ من تهدئةِ خواطرِ الحُكّامِ، وطمأنتِهم. وبعد محاولاتٍ عديدةٍ لقتلهِ، نجحوا أخيراً في دسِّ السمِّ لَهُ.

ففارقَ الإمام(ع) الحياةَ في عام ٢٦٠هـ لتنتهي بذلكَ صفحةً مجيدةً من حياتِهِ وحياةِ آبائهِ التي عاشوا فيها مع النّاس، مرحلةً امتازتْ بالعطاءِ والجهدِ والتضحيةِ بالنفسِ وبكُلِّ ما هو غالٍ ونفيسٍ في سبيلِ نشرِ رسالةِ جدِّهم الرسول(ص)، وإنقاذِ البشريةِ من الانحرافِ وتبيانِ طريقِ الحقِّ، طريقِ الإسلامِ الصحيحِ.

فسلامٌ عليهِ يومَ وُلِدَ ويومَ ماتَ ويومَ يُبعَثُ حيّاً.